محمد إقبال من خلال "دائرة المعارف الإسلامية"

الطيب ولد العروسي
(مدير كرسي معهد العالم العربي في باريس، سابقاً)

يتناول هذا البحث التعريف بالمصلح والمجتهد محمد إقبال، من حلال أهمّ الموسوعات المختصّة بالعالم العربي الإسلامي وحضارته، وهي دائرة المعارف والإسلاميّة encyclopédie de l' islam التي يعتمدها مُعظم الباحثين، وبخاصة الباحثين الغربيين، والناطقين بالفرنسية بعامّة لاستقاء معلوماتهم؛ فهذه الموسوعة هي مفتاح مهمٌّ لإرساء المفاهيم والأفكار بحوثهم وتمهد لوجهات نظرهم، ولاسيّما إذا كانوا لا يعرفون اللغة العربية.

إشكاليّة البحث: تعتمد هذه القراءة التي نحاول تقديمها على تلخيصٍ لأهمّ ما ورد في هذه المادة حول المصلح محمد إقبال، إذ تجدر الإشارة إلى أنّ المواد المنشورة في دوائر المعرفة تُشكّل مصدراً أساسياً لتأطير الباحثين وإرشادهم. ولذا اعتمدنا هذه الموسوعة بالذات بسبب توفّرها في أغلب المكتبات الفرنسية والغربية، وكل مادة مثبتة فيها تصدر بثلاث لغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية، ولا يوجد لهذه الموسوعة مقابلاً أنجز من قبل أي مؤسسة عربية، فهي تمثل مشروع مؤسّسة استشراقية حيوية بامتياز، وذلك لأنّ الكتابة في أي موضوع من الموضوعات فيها، توكل إلى مختص فيه، كما هي حال ماري شيميل، على سبيل المثال. لذا، نقترح أن نقدم في هذه الندوة العلمية أهم المحاور التي ناقشتها هذه الكاتبة عند محمد إقبال.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى أمرين، أولهما الوقوف على أهميّة الكتابة في محمد إقبال في إحدى أهم الموسوعات الفرنسية، ولاسيما أن المواد المنشورة في أي موسوعة ترفق بالمراجع المعتمدة من قبل الباحث. والهدف الثاني هو تقديم وجهة نظر الآخر المختص بثقافتنا العربية الإسلامية. لذا، سنتوقف عند أهم النقاط التي ركّزت عليها الكاتبة شيميل، وعند كيفية معالجتها الجوانب الفكرية والتاريخية لهذا المصلح، وما تأثير هذا المصلح في الفكر العربي الإسلامي. وسنبيّن ذلك كله في هذا البحث من خلال معالجة المحاور التالية:

- تقديم
- التعريف بدائرة المعارف الإسلامية
- نبذة حول كاتبة المادة
- مسار محمد إقبال العلمي والفكري
- أهم الأفكار التي دافع عنها

- المراجع المعتمدة في بحث آنا ماري شميميل
- خلاصة مع بعض النتائج
- المراجع المعتمدة في هذا البحث

تقديم

أثارت كتابات محمد إقبال الكثير من الاهتمام لدى الباحثين عربياً وغربياً، كونه شاعراً متميزاً ترجم إلى لغات عالمية عدّة، إضافة إلى أنه كان مفكّراً عميقاً في طرحه لقضايا الإسلام، التي توسّعت بعد أن كانت مقتصرة على آسيا وبخاصة على الهند، ليدخل معارك فكرية بعد تعمّقه في قراءة القرآن، واختلاطه مع عددٍ كبير من المفكّرين والكتاب ورجال السياسة في العالم. في هذا السياق نذكر مراسلة له مع لينين حيث يقول الدكتور عاشوري قمعون: "كانت قضية إقبال الكبرى أن يؤمن الناس، فأرسل رسالة إلى لينين، وكان محمد إقبال مشهوراً على مستوى العالم يعرفه لينين، ويعرف أذناب الشرق والغرب، يقول: "اتق الله يا لينين، "فإنك قصمت ظهر الرأسمالية فأحسنت، فالحق بقصمك للرأسمالية لا إله إلا الله". و"لهذا ثار لينين على الملكية الفردية في النظام الرأسمالي وكفر بالله"[1]، كما غنّى الكثير من الفنانين والفنانات بعض أشعاره منهم أم كلثوم التي غنّت له قصيدة "حديث الروح" من ديوان "صلصلة جرس[2]" "ترجمة الشيخ الصاوي شعلان، وقد تضافرت فيها كلمات إقبال ولحن رياض[3] السنباطي وأداء أم كلثوم في سبيكة شجن صوفية"[4].

تعمّق محمد إقبال كثيراً في قراءة الإسلام والقرآن، حتى غدا متصوفا، يطرح أسئلة دينية جوهرية منطلقة من تأمل عميق في وضع الأمة الإسلامية، وبذا انتشرت كتاباته حتى أصبح يلقّب بفيلسوف الإسلام وأصبحت وما زالت أراءه وكتاباته مرجعاً للكثير من الدراسات في العالم العربي وفي الغرب، نذكر منها دراسة المستشرقة الألمانية آنا ماري شيميل Annemarie Schimmel المنشورة في دائرة المعارف الإسلامية.

لكن قبل التطرق إلى مسارها أقول بأن اختياري لموضوع إقبال محمد في دائرة المعارف الإسلامية، يرجع إلى أنني وبعد أن أطلعت على كثير من الأبحاث، حول إقبال، تفاجأت بعدم الإشارة إلى الكتب المرجعية التي تعتبر الأساس لكل بحث أكاديمي، أذكُر منها بحث الدكتور عاشوري قمعون، وبحث الأستاذ زكي الميلاد[5]، وكتاب صلاح الدين محمد شمس الدين

---

[1] - الشاعر والمفكر الإسلامي الكبير، محمد إقبال، أ.د/ عاشوري قمعون/ قسم العلوم الإنسانية/ جامعة الشهيد حمة لخضر، مجلة المعارف والبحوث والدراسات التاريخية، العدد 23، ص، 168

2

[3] - صلصلة الجرس، محمد إقبال، ترجمة جلال السعيد الحفناوي، مراجعة وتقديم، سمير عبد الحميد إبراهيم، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003

[4] - محمد إقبال: الشاعر والمفكر الهندي الذي غنت له أم كلثوم، لوليد بدران، أنظر الرابط:
https://www.bbc.com/arabic/world-59248803

[5] - فلسفة إقبال بين كتابين ومرحلتين، الصادر نجلة إسلام أون لاين الالكترونية أنظر الرباط:

الأزهري[6]، وكتاب الشيخ كامل محمد محمد عويضة[7]، وغيرها من الأبحاث التي تركتني أقدم قراءة للموسوعة الأكثر تداولاً في البحث الأكاديمي في مجال الثقافة العربية الإسلامية.

التعريف بدائرة المعارف الإسلامية

دائرة المعارف الإسلامية[8] هي مؤسسة استشراقية بامتياز، فرضت نفسها ككتاب مرجعيّ لا غنى عنه، لسوء الحظ لم تُنجِز المؤسسات الثقافية العربية بديلاً لها حتى يومنا هذا، رغم أن الأكاديميين والباحثين العرب يعون أن هذه الموسوعة الصادرة باللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية تسيّرها وجهات نظر معروفة، ولاسيما أنها أسست في سياق سياسي وثقافي وزماني معين. علاوة على ذلك، أن الكثير من المفكرين العرب قدم انتقادات لها، بما فيهم بعض المسئولين في بعض المؤسسات والمخابر العلمية، مؤكدين إلى وجود الكثير من مواطن الضعف، والهفوات، فيها، كما نوهوا إلى إساءتها في تناولها للكثير من المواضيع حول الإسلام وتطويع أبحاثها ضمن رؤية استشراقية بالأساس، غير أن انتقاداتهم ظلت نظرية ولم تُنقل إلى الواقع العملي، مثل الكثير من المشاريع الطموحة التي، ربّما، لم ولن ترى النور أبدا، وذلك بالرغم من أنها تعني المشترك الثقافي، والفكري، والديني العربي، والإسلامي. حيث يؤكد الشيخ فؤاد كاظم المقدادي[9] قائلا: "لقد كُتبت دائرة المعارف الإسلاميّة ـ وهي أوسع إنتاج موسوعي

---

https://islamonline.net/archive/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9-%D8%A5%D9%82%D8%A8%D8%A7%D9%84-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D9%88%D9%85%D8%B1%D8%AD%D9%84%D8%AA%D9%8A%D9%86/

[6] محمد إقبال وموقفه من التغريب والتجديد: دراسة وصفية تحليلية، منشورات دار نشر بينيربيت أوندهار2023

[7] -محمد إقبال شاعر وفيلسوف الإسلام، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994

[8] - قامت لجنة من الكتاب والأساتذة في ستينيات القرن الماضي في مصر بترجمة المجلدات الأولى من دائرة المعارف الإسلامية الصادرة بين سنتي 1928 و 1932 ثم أعيد إثراءها بإضافة مواد الجديدة حتى وصلت إلى ثلاثة عشر مجلداً بما فيها الجزء الثالث عشر والخاص بمحتويات الموسوعة)، إلى ذلك، يجب الإشارة أن المترجمون وضعوا حواشي وإضافات لمجموعة مهمة من المواد الواردة فيها استناداً إلى الأصل الفرنسي والإنجليزي، وكان ذلك تحت إشراف كل من أحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، وقام بمراجعتها محمد مهدي علام أحد المسؤولين في وزارة المعارف المصرية آنذاك، بدأت هذه الموسوعة بالصدور في سنة 1933 في القاهرة، عن مطبوعات دار الشعب، فصدر منها حمسة عشر مجلدا، وبعد وفاة الأستاذ خورشيد توقفت الترجمة وبقيت مشروعاً ينتظر التنفيذ لاستكمال ما كان قد أنجز وإيصاله إلى القراء.

وفي هذا الصدد تؤكد لجنة الترجمة في المقدمة 'ولقد اهتم العالم الحديث اهتماماً خاصاً بالدور الذي لعبته تلك الحضارة (أي الحضارة الإسلامية) فانكب فريق كبير من علماء الغرب "المستشرقين" على دراسة تراث تلك الحضارة العظيمة بما فيها من دين سمح، ومن لغة غنية، مرنة باشتقاقاتها، جميلة برسم حروفها (....) في كتاب جامع يتبعون فيه منهج القواميس والمعاجم، فكتبوا "دائرة المعارف الإسلامية" باللغات الأوروبية الكبرى (الإنجليزية والفرنسية والألمانية) وها نحن نتقدّم بترجمتها إلى اللغة العربية" ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم، النسخة العربية من إعداد وتحرير إبراهيم خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس. - القاهرة: منشورات دار الشعب، 1969- 1982 المجلد الأول.

[9] - الشيخ فؤاد كاظم المقدادي الامين العام لاتحاد العلماء المسلمين في العراق، ولد في بغداد سنة 1949حاصل على شهادة الماجستير والدكتوراه من جامعة السوربون.

استشراقي ـ من قبل مجموعة كبيرة من المستشرقين من جنسيّات أوربيّة مختلفة، وكان المشرف على معظم موادّها هو المستشرق (فنسنك)[10] أو (ونسنك، المعروف بأنّهُ مِن أكبر المتعصّبين ضدّ الإسلام، والذي يدّعي أنّ الرسول (صلّى الله عليه واله وسلّم) ألّف القرآن من خلاصة الكتب الدينيّة والفلسفيّة التي سبقته، وقد نشرت هذه الدائرة باللغة العربيّة مرّتين، الأولى عام 1913م ... والمرّة الثانية في السبعينات دون أيّ تغيير في موادّها..."[11]. وهذه الشهادة تنظم إلى الكثير من التعليقات والاستشهادات الأخرى لكتّاب وأكاديميين كُثر. وبالتالي فإن قراءتنا للمادة المثبتة حول المصلح محمد إقبال في هذه الدائرة / الموسوعة التي ينصح بها الأساتذة طلابهم للانطلاق والتعمق في أبحاثهم لأنهم (ومعهم حق) يعتبرونها كتاباً مرجعياً لا غنى عنه، وتدخل ضمن منهجية البحث الأكاديمي المتّبع في أغلب الجامعات الفرنسة والغربية، ولاسيما أن العودة إلى المراجع تعتبر من التوجهات المنهجية الجادة، ومن هذا المنطلق تجد دائرة المعارف الإسلامية رواجاً لدى الباحثين الغربيين، حاصة وأن كل مادة مثبتة فيها تنتهي بإحالات بيبليوغرافية تسهم في إثراء وتوجيه الباحثين في معالجاتهم وربما في ترسيخ أفكارهم.

المستشرقة الألمانية أنا ماري شيميل، **Annemarie Schimmel**

ولدت أنا ماري شميتل في مدينة Eurfurt إيرفورت بألمانية، عام و1922 وتوفيت سنة 2003، ولدت في عائلة بروتستانتية، حيث اختارت الاهتمام بالعالم الشرقي والإسلام منذ صباها، فتعلمت اللغة العربية في سن الخامسة عشر، وحفظت جزءاً واحداً من القرآن كما تعلمت اللغتين الفارسية والتركية.' وتخرجت من جامعة بيرلينحن في سن التاسعة عشر، فرع اللغات الشرقية والفنون الإسلامية، وحصلت سنة 1951على الدكتوراه في فرع تاريخ الأديان من جامعة ماربورغ، حتى أصبحت "عالمة إسلامية مشهورة دوليًا"[12]، كما يقول عنها الدكتور أسماعيل مرشيد، أستاذ تاريخ الإسلام في المغرب بجامعة إفريقية الغربية، حيث يقول: "كرست أنا ماري شيميل حياتها بأكملها لتعزيز التفاهم المتبادل بين الغرب والشرق، والحوار بين الحضارات بهدف السلام والاحترام."[13]، يضاف إلى كونها كانت أستاذة وباحثة تبوأت عدة مسؤوليات سياسية كمترجمة "فقد عيّنت في وزارة الخارجية لكي تقوم بفك شفرة التلغراف

---

[10] - آرند جان فنسنك 1939 -1882)- Arend Jan Wensinck) مستشرق هولندي. كان أستاذ اللغة العربية في جامعة ليدن من سنة 1972 إلى وفاته. وقام برحلات إلى ومصر وسورية وغيرهماً من بلاد العرب. وانصرف إلى العناية بالحديث النبوي، فوضع بالإنكليزية معجماً للألفاظ الواردة في أربعة عشر كتاباً من كتب السنن والسيرة، نقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي وسماه (مفتاح كنوز السنة) وتولى فنسنك تحرير (دائرة المعارف الإسلامية سنة 1925 م، بلغاتهاً الثلاث، فأتم منهاً أربع مجلدات وخمس ملازم. وكتب مقالات كثيرة في مجلات مختلفة. وله كتب بالإنكليزية عن الإسلام والمسلمين. وبدأ بنشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) بالعربية وتوفي قبل إتمامه. ولاً يزال بعض فضلاء المستشرقين يوالون العمل فيه تحقيقاً وطبعا

[11] - الإسلام وشهادات المستشرقين. المقدادي، فؤاد كاظم – بغداد: المجمع العالمي لأهل البيت، سلسلة كتب دورية تصدر عن مجلة رسالة الثقلين، 2010 ص, 260

[12] - Annemarie Schimmel, islamologue de renommée internationale, de _Ismaïl Warscheid, In revue Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire Année 2007 , No 56 pp. 153-154

[13] -ibid.…, p, 154

التركية"[14] كما حازت على عدة جوائز علمية وأكاديمية " خلال حياتها حصلت سيدة الاستشراق الألمانية على أرفع الأوسمة والجوائز من داخل ألمانيا وخارجها، كما تم منحها درجة الدكتوراة الفخرية من جامعة طهران عام 1990 "[15]، وقد اهتمت بالإسلام في آسيا، وتركت عدة دراسات في القرآن وحول الرسول، حيث ناقشت عدة مسائل مهمة في الإسلام مثل قضية الوحي والقرآن والإسراء والمعراج، وترجمات القرآن التي تراها بأنها ترجمة لمعانيه وليس لروح النص، ولقد "وهبت حياتها للبحث واكتشاف الإسلام، وأسهمت بدور كبير في تصحيح صورة الإسلام في عيون الغربيين من خلال كتاباتها، لأن أغلبها كان دفاعاً عن الإسلام وعن الرسول (ص)[16]،.عرفت بغزارة مؤلفاتها التي تجاوزت "مائة كتاب، ثمانين منها حول تأريخ الشرق والإسلام والتصوف والفكر والشعر وتُرجمت مجموعة من الكتب من لغاتٍ شرقية الى لغات غربية وبالعكس"[17]. . وكل الذين كتبوا عنها يشهدون على نزاهتها وعلى أن تخصصها في العالم العربي الإسلامي كان عن قناعة وحب حقيقين، لأنها تعتبر الإسلام حضارة تحمل أبعاداً إنسانية وفكرية عميقة.

وفي هذا السياق فقد تشكلت أبحاثها حول الإسلام من مختلف الزوايا دراسة النصوص الأساسية والفنون والعمران والتصوف، ما يؤكد اهتمامها البانورامي بالإسلام ثقافة وحضارة وفكرا. لتصبح واحدة من بين أشهر المستشرقين الألمان على الستوى العربي والدولي.. وقدد خصصت عدة محاضرات ودراسات حول محمد إقبال من ضمنها البحث الذي سنحاول التطرق إليه في هذه الدراسة المتواضعة.

مسار محمد إقبال العلمي والفكري

تؤكد الباحثة بأن محمد إقبال ولد سنة 1873 أو "من المحتمل عام 1976[18]" وأنه ربط علاقة صداقة "مع السير توماس أرنولد[19] الذي كان مديناً له جزئياً بقدرته على الذهاب إلى

---

[14] -آناً ماري شيميل ودفاعهاً عن الإسلام، أمل حسني حلمي مهران، مجلة بحوث، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، العدد الأول، يناير 2022، ص، 173

15 - **انه ماري شيمل: سيدة الاستشراق الاولى ومنصفة الإسلام، علاء الدين سرحان، أنظر الرابط:** انه ماري شيمل: سيدة الاستشراق الاولى ومنصفة الاسلام – DW – 2005/12/27

[16] - آناً ماري شيميل ودفاعهاً عن الإسلام، أمل حسني حلمي مهران، مجلة بحوث، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، العدد الأول، يناير 2022، ص, 206

[17] - المستشرقة الألمانية آناً ماري شيمل وكتابهاً "وأن محمداً رسول الله"، أ.د. حامد ناصر الظالمي، دراسات استشراقية، العدد الخامس، صيف 2015، ص، 26

[18] - IKBAL Muhammad, voir L'Encyclopédie de l'islam ; Nouvelle édition, 2tablie avec le concours des principaux Orientalistes Leiden : E, G, Brill, Paris : G, P Maisonneuve et Larose S, A 1990, tome 3, p, 1083,

[19] - توماس وولكر آرنولد: (Thomas Walker Arnold) (1864- 1930) مستشرق بريطاني" عين أستاذاً للفلسفة في الكلية الحكومية في مدينة لاهور1898م، وكان أبرز من تتلمذوا عليه في تلك الكلية هو الشاعر محمد إقبال اللاهوري،

إنجلترا في عام 1905"[20] حيث التحق بجامعة كمبريدج، وعرف كشاعر رومانسي، درس الفلسفة والحقوق، ثم انتقل عام 1907 إلى ميونيخ بألمانيا حيث حصل على شهادة الدكتوراه بعنوان "تطور الميتافزيقية في بلاد فارس"[21] مما يبين اهتمامه بالفلسفة والتصوف، اللذان خصصا لهما أهم أعماله وتأملاته، رجع إلى لاهور سنة 1908 والتحق بالجامعة أستاذاً للفلسفة ثم عاد إلى ممارسة القانون، حيث مر «"بأزمة روحية بعد عودته من أوروبا."[22]، وذلك بعد أن تأمل في أوضاع العالم الإسلامي، حيث بدا يفكر في أسباب تخلف المسلمين، وفي مصير الأتراك بعد حرب البلقان التي خلقت لديه كما لدى الكثير من المفكرين الهنود، عدة أفكار والتي عزّزها في كتاباته الشعرية وبالذات في قصيدته "شكوى" ثم أردفها بقصيدة "جواب،[23]" رداً على القصيدة الأولى، وعن تساؤلاته حول المسلمين الواقعين في ""العار بسبب كسلهم وافتقارهم إلى الإيمان."[24]، ثم تطورت أفكاره في ديوانه "الأسرار والرموز"[25] عام 1915، كتبه بالفارسية قصد انتشاره على أكبر عدد ممكن من القراء، وواصل الكتابة الشعرية ونشر العديد من الدواوين بطريقة ملتزمة تسائل الذات ومصير الأمة الإسلامية . كانت عبارة عن مدخل إلى تعمقه الفكري في الإسلام، لأنه حاول " التوفيق، بطريقة شخصية للغاية، بين اللاهوت الإسلامي والعلم والفلسفة الأوروبية. وبدا الشاعر بعد ذلك التعاون مع الرابطة الإسلامية، حيث قدم في دورتها السنوية عام 1930 في الله أباد بيانه الشهير حول الحاجة إلى إنشاء دولة إسلامية مستقلة في شمال غرب الهند. »[26] وفي السنوات الموالية قام برحلة إلى لندن ثم باريس حيث التقى ب "هنري برغسون[27] ولويس ماسينيون"[28]، وبعد ذلك واصل رحلته إلى إيطاليا (حيث استقبل من طرف موسوليني"[29] وإسبانيا والقدس "حيث حضر إلى مؤتمر

---

[20] - IKBAL Muhammad, voir L'Encyclopédie de l'islam ; Nouvelle édition, 2tablie avec le concours des principaux Orientalistes Leiden : E, G, Brill, Paris : G, P Maisonneuve et Larose S, A 1990, tome 3, p, 1083,

[21]- The Development of Metaphysics in Persia by Sir Muhammad Iqbal,- London : Luzac & Co, 1908

[22] - Ibid. p 1083 (encyclopédie)

[23] - بالعربية حديث الروح

[24] -Ibid. (Encyclopédie)

[25] - ديوان الأسرار والرموز، محمد إقبال، ترجمة عبد الوهاب بن محمد بن حسن ابن سالم عزام، القاهرة: مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة القاهرة، 2012

[26] - Ibid. p 1084 (Encyclopédie)

[27] - هنري برجسون: Henri Bergson 1859- 1941فيلسوف فرنسي شهير، اشتهر بأفكاره المتعلقة بالوجود على مستوى عالمي، لديه عدد كبير من المؤلفات.

[28] - IKBAL Muhammad, voir L'Encyclopédie de l'islam ; Nouvelle édition, 2tablie avec le concours des principaux Orientalistes Leiden : E, G, Brill, Paris : G, P Maisonneuve et Larose S, A 1990, tome 3, p, 1084

[29] -Ibid. p 1084

إسلامي"[30] وفي سنة 1933 تمت دعوته إلى أفغانستان لدراسة تأسيس جامعة في كابول، مما سمح له بتأليف قصيدة "المسافر" باللغة الفارسية. ثم تلاها ديوان " والآن ماذا ينبغي ان نفعل يا أمم الشرق"[31].

واصل إقبال تابة الشعر التأملي خاصة في كتابه الذي أهداه إلى ابنه "جافيد" وبعنوان: " رسالة الخلود، أو جاويد تامة"[32]، وهو عبارة عن رحلة روحية صحبة جلال الدين الرومي، تناول فيه العلاقة الفلسفية والسياسية مع شخصيات إسلامية وغير إسلامية.

عزّزت رحلات محمد إقبال إلى أوروبا والقدس بحثه وتأملاته في الوجود وفي دور الأنسان، مما تركه يجد طريقه في التقرب من التصوف والمتصوفة والتعمق في أفكارهم، خاصة حينما بدأ ينتقد الوضع السياسي والديني في العالم الإسلامي، عبر مجموعة من القصائد، تؤكد الكاتبة بأنه " بعد فترة طويلة من المرض، والتي لم تمنعه من صياغة مفهوم جديد للشريعة الإسلامية، توفي إقبال، الذي منحه التاج البريطاني لقب السير في عام 1922، توفى في 21 أبريل 1938؛ ظهرت بعد وفاته مجموعة من الرباعيات الفارسية وبعض القصائد الأردية،[33] بعنوان: هدية إلى الحجاز."[34]، يتفق كل من كتبوا على أعمال محمد إقبال بأن الشعر بالنسبة له كان وسيلة لتمرير أفكاره والتعبير عن آلامه وآماله. وأنه كان بحاجة إلى الشعر لمخاطبة أكبر عدد من القراء، وبالتالي فالشعر أيضاً "الميراث النبوي"[35].

أهم الأفكار التي دافع عنها؟

اختزلت أشعاره عمق فكره ورؤيته في توسيع أفكاره على مستوى كبير من أجل المساهمة في تجديد الفكر الإسلامي، وعليه فقد طلب من المسلمين حسب الكاتبة إلى " استعادة قوتهم من خلال تطوير شخصيتهم، سواء كأفراد أو كأمة؛ وهو متهم بنقل الإنسان النيتشهى (نسبة إلى نيتشه) إلى الوسط الإسلامي، ولكن لا يمكن فهم أنسان إقبال إلا في علاقته بالله"[36] وبالتالي فإن الله لدى إقبال هو " هو الأنا العليا، وكذلك في عمقه الشخصي الله؛ "إنه "الشخصية الكاملة التي تتوافق فقط مع مفهوم الكائن اللانهائي" (. ت، فون هوجل)[37] والتي تفهم كل الأشياء على الرغم من أنها متميزة عن كل شيء، ومن جانبه، فإن كل كائن مخلوق لديه أنا صغيرة مدعو لتطويرها؛ "وهكذا، في جميع أنحاء الكون، يتطور الأفق الصاعد تدريجياً

---

[30] -Ibid.,

[31] -Ibid.

[32] -رسالة الخلود أو جاويد تامة، محمد إقبال، ترجمة الدكتور محمد السعيد جمال الدين، القاهرة: مطابع سجل العرب، 1974

[33] - هدية الحجاز، محمد إقبال، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2020

[34] -Ibid. (encyclopédie)

[35] -Ibid. 1084

[36] -Ibid.

[37] - تشارلز فون هوجل Charles von Hügel مستكشف نمسوي وعالم نبات، وطبيعيات، ودبلوماسي، وعسكري.

للأنا"[38]، هذا ما يدعو إليه إقبال، لأنه يعي بأن الإنسان فان، وكل شيء له نهاية، الحب، الحياة، الحزن، السعادة، بل يذهب أكثر حينما يؤكد بأن كل الأشياء يجب أن تتحقق عبر الصلاة ومناجاة الخالق، مما جعله يتقرب أكثر فأكثر من الله لأن الإنسان يقترب أكثر فأكثر من الله ليعود بعد ذلك إلى العالم كمظهر من مظاهر الصفات الإلهية، مصححاً مسار الزمن، فالحياة عبارة عن تبادلات مستمرة بين الخلوة والجلباب، وهكذا يقترب الإنسان أكثر فأكثر من الله، من خلال اكتساب بعض هذه الصفات،"[39]، متحدياً أو متجاوزاً بذلك ما يسميه القدر الأعمى، ويطلب من الإنسان أن "يتمثل فيه التعاون بين الإرادة الإلهية ليخلق وضعاً جديداً" حيث يختار الأخير أحد المصائر العديدة المخفية في الله. ولكن على الرغم من أنه قد يكون هناك لقاء للشجاعة "عندما تصبح يد الله يد الإنسان"[40] وفي هذا السياق تشير المؤلفة إلى أن إقبال ينطلق من الآية القرآنية (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورا)[41].

الأنسان في نظر إقبال يبقى أنسانا، فقلب المؤمن مع الله، لأنه عبدٌ لله، وهنا ترى الكاتبة تأثير على شريعتي عليه، خاصة حينما يتودّد إلى الله بالتقرب والتجلي وهو يرى أنّ "الاتحاد الكامل ليس رغبة، بل هو السعي الدائم إلى القيم العليا، وإلى الأعماق التي لا يمكن سبر غورها من الإلهي، والتي لها أهمية، حتى بعد الموت؛ "أنا موجود طالما أتحرك،"[42] حيث تؤكد الكاتبة بأن إقبال بهذا الاعتراف يقترب من الغزالي في فكرة الشوق في كتاب إحياء علوم الدين. كما تحيلنا في هذا السياق إلى الآية القرآنية " (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا)"[43]، التي تلخص بالنسبة لإقبال تحقيق الإنسان لذاته، في "مواجهة مشكلتين: مشكلة إبليس ومشكلة الزمن، وهي القوة الميفستوفيلية"[44]، والتي تعتبر شخصية مفضلة لدى إقبال[45]، وهذا ما يمنح

---

[38] -Ibid. (encyclopédie)

[39] -Ibid.

[40] -Ibid.

[41] - سورة الإسراء والمعراج، الآية 17

[42] -Ibid. (encyclopédie)

[43] - سورة الأحزاب، الآية 72

[44] -ميفستوفيلي: صفة تعني شيئاً يذكرنا بميفيستوفيليس، الشيطان في الكوميدياً البشرية، أو شيئاً ساخراً وذكياً و/أو شريراً. يبدو أنه ينتمي إلى الشيطان، الشيطاني، الضحك الشيطاني، الضحك الميفيستوفيلي"، أنظر:
Le Petit Robert : Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française, nouvelle édition de Paul Robert, sous la Direction de Alain Rey et Josette Rey-Debove, Paris ; Le Ronert, 2023, p, 1574.
تُطلَق كلمة ميفيستوفيلس على الشخصية التي تُمثل الشيطان، وهي اسم الشيطان في الأسطورة الفاوستية. وعلى العكس من الشيطان الذي يُمثل عادةً في المخيلة الغربية في هيئة شبه حيوانية بحوافر وقرون، فإن مفستوفيليس أكثر إنسانية حيث إنه يظهر في هيئة رجلٍ طويلِ القامة متسربلا بالسواد عادة، ويحمل في الصور كتاباً أحمر يوقع فيه الأشخاص الذين يبيعون أرواحهم له، ويبدو أنه أوثق علاقة بهيئة الحجيم من الشكل الشبيه بالعنزة. غالباً ما يظهر مفستوفيليس في هيئة راهب فرانشسكاني، وبهذه الهيئة يظهر في نصي مارلو 1616 وغوته 1725، وهو شيطان ماكر، وهذه الصفة مأخوذة من يوهان حيورج فاوست، وهو منجم وعالم فلك ألماني.

الإنسان الإرادة وقوة الصمود في الحياة وبعدم الخضوع للشيطان، وفي هذا الإطار تستشهد الكاتبة بالآية، " (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[46]،

أما ما يقصده محمد إقبال بالزمن فهو إحالته على التصوف، حيث تقول: "وأما فيما يتعلق بالزمن، فقد تأثر إقبال جزئياً بالتصوف وجزئياً ببرغسون، ونظريته حول المستويين المزدوجين للزمن، المخلوق وغير المخلوق. كان غالباً ما يقارن الزمن المتسلسل بالمخلوق بالزنار،[47] أي حزام الساحر الذي يستخدمه للوصول إلى الإله الأبدي الإلهي nunc acternum divin، حيث يستطيع المؤمن أن يعبر عن نفسه، وفقاً للنبي ""لي مع الله وقت لا يسع فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسل" ".[48]، وهو حديث يردده المتصوفة كثيراً "وهو مثبت في "رسالة القشيري" لكن بلفظ: "لي وقت لا يسعني فيه غير ربي". ويشبه أن يكون معنى ما للترمذي في "الشمائل" ولابن راهويه في "مسنده «عن علي في حديث طويل: "[49].

بناء على هذه الاجتهادات نرى أن إقبال قد درس الفكر الأوروبي ونهل منه الكثير، وهو حريص على هويته الثقافية، وبالتالي فإنه استفاد من الثقافتين وعمّق وجهة نظره، حيث تقرّ الكاتبة بأنه تأثر بهيجل ونيتشه وأن الفلسفة الأوروبية بالنسبة إليه توقفت عند "لا إله" ولم تصل إلى "إلّا الله" وهو هنا يستعمل نفس رمز "روسيا البلشفية" التي رفضت "أفكار" الإمبريالية والرأسمالية، لكنها لم تؤكد بشكل إيجابي على قوة الإله الواحد. ما فضله إقبال في نيتشه هو ميله المعادي للمسيحية والمعادي لأفلاطون،"[50]. وتُقر الكاتبة بأن إقبال لم يكن موافقاً على كل أفكار أفلاطون في كل أعماله، وتعلّق كثيراً بأفكار جلال الدين الرومي واعتبره مرشده الروحي، كما تأثر بشكل قوي بأفكار الحلاّج الذي "استطاع فهمه بفضل ترجمة لويس ماسينيون"[51]. في المقابل فإن القرآن الكريم يمثل بالنسبة إلى محمد إقبال منطلقا، بل وسنداً لأفكاره والهامة الرئيسي حيث كان "يحتفل بجماله باستمرار، أي القرآن" ويرى عوالم جديدة وإمكانيات مستجدة تنفتح كل يوم أمام المؤمن. ومع ذلك، فإن تفسيره لبعض الآيات في بعض الأحيان تكون غريبةً وشخصيةً للغاية، لأنه يحاول إيجاد صلة بينها وبين اكتشافات العلم الحديث. وهو يعتقد أن القرآن والمعرفة قادران على التطور اللانهائي، ولكنهما في الوقت نفسه التعبير الثابت للإرادة

---

[45] - IKBAL Muhammad, voir L'Encyclopédie de l'islam ; Nouvelle édition, 2tablie avec le concours des principaux Orientalistes Leiden : E, G, Brill, Paris : G, P Maisonneuve et Larose S, A 1990, tome 3, p,1084

[46] - سورة البقرة الآية 32 وماً بعدها

[47] - شَدَّتْ زُنَّاراً على وَسَطِها: حِزاماً يُشَدُّ على الوَسَطِ. النِّطاقُ: وَقَفَ في الوَسَطِ فَتىً في جِلْبابٍ أَبْيَضَ متحزما بِزُنَّارٍ.

[48] -- IKBAL Muhammad, voir L'Encyclopédie de l'islam ; Nouvelle édition, 2tablie avec le concours des principaux Orientalistes Leiden : E, G, Brill, Paris : G, P Maisonneuve et Larose S, A 1990, tome 3, p, 1085

[49] -كتاب المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة – أنظر الرابط:
https://shamela.ws/book/1266/2333

[50] -Ibis, p 1085 (Encyclopédie)

[51] -ibid.

الإلهية"[52]، وهو يؤمن بحيوية المسلم وبتطلعاته نحو آفاق غير محدودة، وفقاً لتعاليم القرآن الكريم. وكانت لديه انتقادات كثيرة لرجال الدين يهتمون بالجانب الشكلي للدين، وتدخل تأملاته وأعماله في باب الاجتهاد، فكان "ينصح أحياناً بالموقف التقليدي، كحماية ضد التغيرات في الحياة الاجتماعية، في انتظار أن يشكل المجتمع الإسلامي وعياً جديداً ويتحرر من كل "المذاهب" الحديثة التي تهدد الإيمان التوحيدي الخالص"[53]. كما أنه كان من المؤمنين بوحدة العالم الإسلامي، والمدافعين عنها، لأنها تقوم على الإيمان بالقرآن وبرسول واحد هو محمد (ص) وهما يعتبران أساساً مهماً للمسلمين، من دون مراعاة للحدود الجغرافية، لكونها لا تمثّل حاجزاً في العمل على توحيد الأمة، وأن المسلمين أيضاً يُصلّون باتجاه الكعبة التي تجمعهم أيضاً، وعليه فهو يعتبر أن الإسلام "قوة، على النقيض من الروابط الأسرية والارتباطات الأرضية، وهي تشكل شاهداً على توحيد المسلمين".

تؤكد الكاتبة بأن أفكار إقبال شكّلت مجموعة اتجاهات متناقضة، ولكن رغم كل ذلك يبقى مفكراً تقدّمياً، وكانت له معرفة عميقة بالفلسفة الأوروبية؛ غير أنها لا تعتبر إقبال فيلسوفاً لأن ذلك يتجلى في "أسلوبه في التعامل مع المواضيع الأصلية، وعلاوة على ذلك فقد عبّر بالحدس عن العديد من الأفكار التي كانت سائدة في علم النفس الأوروبي والفلسفة الدينية في عشرينيات القرن العشرين. ولكن على الرغم من اهتمامه بالفلسفة الغربية والإسلامية، فإنه لم يكن فيلسوفاً منهجيّاً أبداً؛ يمكننا أن نمنحه صفة "الفيلسوف النبوي" أو "الشاعر الفيلسوف"[54]، وهي تجزم بأنه كان شاعراً كبيراً، وأن معرفته باللغات فتحت له أبواب الاطلاع على حضارات وثقافات أخرى أسهمت في إثراء رؤيته لتوجيه المسلمين نحو آفاق أرحب، رغم أن المستشرقين انتقدوه في بداية مشواره الثقافي إلا أن الأغلبية منهم، خاصة بعد إقامة دولة باكستان التي يعتبر أحد مؤسسيها الروحانيين، ساندوا أفكاره، إذ تؤكد الباحثة مشيرة إلى أنه " يُطلق عليه لقب "الأب الروحي" إلى درجة أن أدنى انتقاد له يُعتبر ساخراً"[55]. وقد انتشرت أفكاره أيضاً "بفضل العدد الكبير من الترجمات إلى اللغات الأوروبية والشرقية،" وتقول الباحثة: "أصبح بإمكاننا الآن أن نفهم عمله حقَّ الفهم؛ ومع ذلك يبقى أن نحدد الطريقة العلمية التي يتم بها تحديد علاقاته بالتقاليد الشعرية الصوفية في شبه القارة"[56]، لكن يتبدى أن وجهات رأي إقبال مرتبطة بسيرته الفعلية في إدراك التصوف، وإن البحث عن سر الحياة لا يعني رفضها والنفور منها، بل يقصد السمو بها إلى غاية أعظم وأكثر قدسيّةً من ظاهرها، وان لا تبعدنا انشغالاتها الظاهرة عن حقيقة معناها. وهو بالتالي كان يطلب من المسلمين أن يكونوا فعالين، وأن يكونوا مبتكرين وحيويين، فالنسبة له فالإسلام يعني الحيوية والتطلّع إلى مشترك مزهر للأمة.

المراجع المعتمدة في بحث آنا ماري شيميل

---

[52] -Ibid.

[53] -Ibid.

[54] -Ibid.

[55] -Ibid.

[56] - Ibid., p 1085

أنهت الباحثة مادتها بتقديم مجموعة من أعمال إقبال الشعرية وترجماتها إلى عدّة لغات أوروبية، منها تلك التي تمت الإشارة إليها في محتوى بحثها مثل: ديوان "أسراري" وديوان "صلصلة جرس" وديوان " والآن ماذا يجب أن نعمل يا أمة الشرق". وهي تشير في بيبليوغرافية المراجع إلى كتاب "سرّ الذات"[57] ثم يليه كتاب "رسالة من الشرق" الصادر عام 1956، والمترجم من محمد أشينا وإيفا دوفتري، ثم كتاب الأسرار والرموز" لإقبال، وبعدها كتاب " يبام الشرق: كإجابة جوته على ديوان الغرب والشرق / محمد إقبال؛ من ترجمته، آن ماري شيميل من الفارسية إلى الإنجليزية، هذا علاوة على ديوان، "زهرة توليب سينا، لمحمد إقبال بالإنجليزية "، ويليه كتاب "vychodu iqbal poselstvi" لمحمد إقبال. ثم كتاب "المزامير الفارسية" أ، ج أرباري Araberry، الصادر في لاهور 1948، ويتبعه كتاب "التفاؤل" تحقيق وترجمة أنا ماري شيميل، الصادر في ميونيخ سنة 1957، وقد صدر بالتركية "كافيدنام" في أنقرة عام 1958، و"كتاب الخلود" باللغة الإيطالية الصادر في روما، سنة 1952.

إلى ذلك فقد اعتمدت أيضاً على كتابه المترجم إلى اللغة الفرنسية الصادر عام 1955 في باريس وهو بعنوان: "تجديد الفكر الديني في الإسلام "، وكتاب "الخلود" باللغة الفرنسية الصادر 1962، ويليه كتاب "أشعار محمد إقبال" الصادر في بارمي عام 1955، وكتاب "عبد المجيد صالك، (أهم مختص في إقبال بالأردية ' بعنوان : محمد إقبال، الصادر في (لاهور) سنة، 1955، ثم كتاب الشيخ محمد عطاء "إقبال نامة'، "مجموعة رسائل إقبال"، الصادر باللغة الأردية في مجلدين بدون تاريخ نشر، إلى ذلك نجد دراساته مثل "دراسات" : س، أ، د: "إقبال تاريخ الفن والإلهيات" باللغة الإنجليزية الصادر في حيدر آباد، غام 1944، وأعيد نشره في لندن عام 1951، ويليه كتاب الكسندر البوساني[58]، وهو بعنوان: "جولسان رضا جديد محمد إقبال، مقتطف من حوليات معهد الجامعة الشرقية في نابولي، السلسلة الجديدة، المجلد الثامن: Gulsan-i raz-i gadid di Muhammad Iqbal Estratto dagli Annali dell'Istituto Universitario Orientale di Napoli Nuova Serie, volume VIII.' الصادر في مجلة "عيون" العدد الثامن، سنة 1958، ولنفس المؤلف كتاب بعنوان: "أنطولوجيا محمد إقبال"، الصدار في بارم عام 1956، ويليه "قصائد لمحمد إقبال"، ل، ف، ج كيرنان Kiernan، الصادر في لندن عام 1955، ثم يليه كتاب أنا ماري شميل بعنوان "مختارات من أعماله الشعرية والنثرية " الصادر في كولون، عام 1968، وبعده كتاب خليفة عبد الحكيم، بعنوان "فخري إقبال ‘الصادر في لاهور، سنة 1975، وكتاب ج، و، فوك Fuch، بعنوان " محمد إقبال والحداثة الهندية الإسلامية' باللغة الألمانية والصادر في "وايزبادن" سنة 1954، ولنفس المؤلف ألف كتاب بعنوان: " الفلسفة الإسلامية الكلاسيكية في فكر المسلم محمد إقبال (1877- 1938) مجلة فلسفة 43/42 برلين 1960، وكتاب "الإسلام الهندي الحديث"

---

[57] - كتبه إقبال باللغة الفرنسية وطُبع سنة 1920، ثم أعاد ر. أ. نيكلوسون طباعته سنة 1956.

[58] - أليساندرو بوساني، ولد في روماً في 29 مايو 1921 وتوفي في روماً في 12 مارس 1988، ومستعرب، ومؤرخ للأديان ومترجم، وواحد من أعظم علماء الإسلام الإيطاليين، ومترجم ومعلق على إحدى أهم النسخ الإيطالية للقرآن الكريم. المتحدث باللغة المسمارية ولأسبرانتو.

ل، غ، كانويل شميت، الصادر في لاهور سنة 1947،، وتختم الباحثة بكتاب كانت نشرته عام 1963 بعنوان " دراسة في أديان السير محمد إقبال، يحتوي على قائمة ببليوغرافية لجميع الكتب والمقالات التي كتبها إقبال أو كتبت حوله حتى عام 1963. وكان هذا الكتاب صدر بالتعاون والاشتراك مع المؤرخ كابريل وينك.

خلاصة

نستنتج من مادة السيدة أنا ماري شميميل، بأن محمد إقبال اهتم بالشعر الملتزم بالقضايا الإسلامية، حتى وإن كانت بعض أشعاره تتدفق بالحب والغرام، لكنها تتشكل من تأملات إنسان واعي بجراح وتشرذم الذات الإسلامية، مما جعله يمر بوضعة نفسية صعبة، ولكنه خرج منها بعد أن اكتشف داء الأمة المتمثل في اهتمام مسؤوليها بمظهر الأشياء في الإسلام وليس بمضمونها، وهذا ما جعله يعود إلى القرآن مكتشفاً من خلاله بعض الآفاق التي تناسب أفكاره ومطامحه، لأن كتاب الله مفتوح على أسرار علمية كثيرة يجب إدراكها والكتابة والنقاش حولها، علاوة على جعل القرآن مرجعه الأساسي في معالجته لأمور المسلمين، من هنا، رأى بأن التصوف هو أحد الأجوبة التي التجأ اليها، لا ليبقى بعيداً عن المجتمع، بل ليجعل منه، أفقاً واسعاً للتأمل، وفي نفس الوقت أن يجعل من هذا التصوف فكراً حيوياً مرتبطاً بمشاكل الحياة اليومية. ودافعاً للتجديد الذي ركّز عليه محمد إقبال في كتاباته، لأن صوفية إقبال التي تغزو شعره، وحاضرة بقوة في أغلب كتاباته، تشير إلى أن الروحانية التي يدعو إليها هي روحانية إنسانية تقوم على توثيق معاني الذاتية الفاعلة، "بحيث يكون الفناء الذي يتكلم عنه الصوفي ليس انمحاءً وغيابًا، بل هو أقصى درجات الارتقاء الإنساني نحو الكمال والفاعلية والإبداع"[59]. وذلك عوض تتبع تصوف يميت الذات، ويرى بأن الحضارة الغربية، حيث يقول الدكتور كمال جحيش نقلاً عن المودودي، "سوف تقضي على ذاتها بنفسها، إنها حضارة شابة بحداثة سنها والحيوية الكامنة فيها، ولكنها محتضرة تعاني سكرات الموت، وإن لم تمت فستنتحر وتقتل نفسها بخنجرها، ولا غرابة في ذلك، فإن كل وكر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار"[60] ثم يواصل الدكتور جحيش أما في الشرق فالعشق هو سر الكون "وليس هناك تعارض بين العشق والمهارة، حيث يمكن أن يجتمعا، "فالمهارة تصير عارفة بالله من خلال العشق، وتتوطد أركان العشق بالمهارة"[61]،

إجمالاً يتبين أن محمد إقبال قد فهم الحضارة الغربية من خلال بعض أبرز فلاسفتها وكتابها وفي المقابل كان مدركاً لأهمية إصلاح المنظومة الإسلامية لتساير العصر وأن يكون القرآن محور التأمل الحقيقي حيث" لقد تعلمت الطبيعيات القديمة نقد أسسها التي قامت عليها

---

[59] - محمد إقبال وتجديد الفكر الديني، عبد الله السيد ولد أباه، جريدة "عروبة"، أنظر الرابط:
https://ourouba22.com/article/4158-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A5%D9%82%D8%A8%D8%A7%D9%84-%D9%88%D8%AA%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A

[60] - من معالم التجديد عند محمد إقبال، د، كمال جحيش، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، مجلة المعيار، المجلد السابع، العدد الثاني عشر، 12 ديسمبر 2006، ص 325

[61] - المرجع نفسه

أولاً، فأدى هذا النقد إلى سرعة اختفاء المادية التي قالت بوجودها أول الأمر. وليس ببعيد ذلك اليوم الذي يكشف فيه كل من الدين والعلم اتقاناً متبادلاً بينهما لم يكن حتى اليوم منتظرا"[62]، إذ يؤكد على التجديد الإسلامي ويرتكز على إعادة قراءة لموروثنا الثقافي بشكل عقلاني وموضوعي. حيث يقول: "وفي الحق أن الدين، نظراً لوظيفته، أشدّ حاجة حتى من المبادئ العلمية المسلّمة، إلى أساس عقلي لمبادئه الأساسية، فقد يتجاهل العلم الآليات، ولكن الدين لا يكاد يستغنى عن السعي إلى التوفيق بين المتضادات التي نجدها في عالم التجربة، وعن تعليل يبرر أحوال البيئة التي تجد الإنسانية نفسها محاطةً بها، ولهذا نجد الأستاذ هويتهد يلاحظ بحق أن عصور الإيمان هي عصور النظر العقلي"[63].

انطلاقاً من هذه المعطيات يمكن لنا أن نستنتج من قراءتنا لموضوع المستشرقة أنا ماري شميل وبالاعتماد على البيبليوغرافية الموثوقة في عملها، أنها لم تعتمد على أي دراسات عربة حديثة حول محمد إقبال، رغم أن اهتمت بأعماله وجمعت مقالاته، وترجمت بعض أشعاره وأنها تعرف العربية، وبالتالي فإن معظم الكتب التي اعتمدها في غالبها باللغة الإنجليزية، هذا علاوة على ما قدمته من قراءة في دائرة لمعارف الإسلامية حول محمد إقبال يجعلنا نستخلص ما يلي:

ميلها إلى اعتبار أن ما وصل إليه محمد إقبال من نتائج في أبحاثه وتأملاته راجع إلى احتكاكه بالمفكرين الغربيين، بشكل أساسي، وفي هذه الحال، فهي تقلّل، أو لا تبرز قراءاته الشرقية، عدا اعتماده وتعلقه بإشارات عابرة إلى جلال الدين الرومي والحلاج والغزالي،، وحتى هؤلاء يعود الفضل في اكتشافهم إلى المستشرقين، وحتى ان هذا المعطى فيه جانب، ربما، من الصحة، إلا أننا عندما نطلع على كتابات محمد إقبال، أو ما كتب حوله نجد أنه اطلع على أمهات الكتب العربية واستشهد بها في أعماله، وكتاباته تعرف انتشاراً واسعاً في العالم العربي الإسلامي، مما يبين اهتمام المثقفين العرب بأفكاره وليس عبر قنوات غربية فحسب. وذلك في حياته وبعد موته.

اختتمت مادتها بأن محمد إقبال يعتبر مؤسساً لباكستان، لكنها لم تتطرق إلى مشواره وحنكته السياسية، سيما وأنه على ارتباط وثيق بالاجتهاد والإصلاح، وقد ركّزت على الجانب الشعري، الذي يعكس التزام الشاعر بقضايا الأمة، ولكن وراء كل التزام هناك دافع سياسي واجتماعي. أما عن فكره ومواقفه السياسية، فقد ضمت مجموعات رسائله الكثير بشأنها وخاصة رسائله للعديد من شخصيات ورجالات عصره، وكان إقبال يهتم بالرسائل اهتماماً شديداً، وقد صنف وجمع الكثير منها ونشرها "ويأتي في مقدمتها من حيث الأهمية في هذا المجال رسائل إقبال إلى محمد علي جناح وكذلك مكاتيب إقبال (إقبال نامه) وغيرها، وقد نشرت مجموعة من رسائله إلى جناح، عام 1942، أي بعد وفاته، وتضمنت المجموعة رسائله إلى القائد (خلال الفترة مايو 1936- نوفمبر 1937) وتكمن أهميتها في توضيح الدور الهام الذي اضطلع به إقبال في تحرير بلاده ونشاطه السياسي في شبه القارة الهندية، كذلك نشرت مجموعات من

---

[62] -تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، ترجمة عباس محمود، القاهرة: دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص، 4

[63] - نفس المرجع، ص، 8

رسائل إقبال عام 1944 وما بعدها"[64]، إضافة أنه كان نشطاً في حزب سياسي كانت له مواقفه وتحدياته ’

تجدر الإشارة إلى أن الكاتبة في نهاية مادتها، أشارت إلى أن موقفه من المرأة في بعض الأحيان يعد تقليدياً رغم أنه أكّد في العكس، لأنه حينما كان ينادي ب "تجديد الفكر الديني" كان يطلب من المرآة أن تكون أكثر تعليماً وتتميز بخبرة ومشاركة في الحياة العامة وطلب بتصحيح النظرة السائدة حولها التي تنتقص من إنسانيتها وعقلها ودينها.

لم تتطرق إلى لقاءاته بالمثقفين العرب والمسلمين، ولا عن اللغات التي كان يتقنها خارج الأردية والفارسية، والإنجليزية والألمانية، ولم تشر إلى اللغة العربية التي درسها «عام 1895بعد أن أكمل تعليمه الثانوي في الكلية الحكومية بـ(لاهور)، وأتم دراسته إلى أن حصل على شهادة (الماجستير)، فعُين أستاذاً للغة العربية في الكلية الشرقية بـ(لاهور)، في (مايو/أيار)، عام 1899، مدة أربع سنوات[65]" وهذا التغييب يبقى محل تساؤل محير.

في كل الحالات فإن هذه الهفوات، سواء كانت عن قصد، أو غير قصد، فهي تعكس أراء ووجهات دائرة معارف التابعة لمؤسسة استشراقية، والعيب يعود إلى مؤسساتنا الثقافية والفكرية التي لم تضعها بين أيدي مترجمين واعين لمواصلة ترجمة الطبعة الأولى، وإثرائها بملاحظات وحواشي تضبط ما جاء في الكثير من موادها، ولهذا السبب، رأيت أن أخصص مداخلتي لما جاء فيها حول المصلح والمجدد الكبير محمد إقبال. والذي كما نلاحظ فقد وجهت الكاتبة بحثها في اتجاه التقائه بالغرب، والشعر والتصوف، وغضت النظر على ثقافته ومراجعه الأساسية في بلورة أفكاره التي جعلته يفرض نفسه ليس في القارة الهندية فحسب، بل في كامل المدارس الفكرية والثقافية في العالم العربي.

المراجع المعتمدة في هذا البحث

1- الشاعر والمفكر الإسلامي الكبير، محمد إقبال، أ.د/ عاشوري قمعون/ قسم العلوم الإنسانية/ جامعة الشهيد حمة لخضر، مجلة المعارف والبحوث والدراسات التاريخية،23

2- محمد إقبال وموقفه من التغريب والتجديد: دراسة وصفية تحليلية، منشورات دار نشر بينيربيت أوندهار2023

3- محمد إقبال شاعر وفيلسوف الإسلام، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994

4- دائرة المعارف الإسلامية الصادرة بين سنتي 1928 و1932، تحت إشراف كل من أحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، وقام بمراجعتها محمد مهدي علام أحد المسؤولين في وزارة المعارف المصرية آنذاك، القاهرة، عن مطبوعات دار الشعب،1969 (خمسة عشر مجلدا)

5- محمد إقبال ودوره السياسي والوطني (1973- 1938)، مصطفى عقيل، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، العدد التاسع، 1997

6- -آنا ماري شيميل ودفاعها عن الإسلام، أمل حسني حلمي مهران، مجلة بحوث، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، العدد الأول، يناير 2022،

[64] - محمد إقبال ودوره السياسي والوطني (1973- 1938)، مصطفى عقيل، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، العدد التاسع، 1997، ص، 49

[65] - سمير عبد الحميد إبراهيم، إقبال والعرب، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1413هـ، ص، 4

7- انه ماري شيميل: سيدة الاستشراق الاولى ومنصفة الإسلام، علاء الدين سرحان، أنظر الرابط: انه ماري شيميل: سيدة الاستشراق الاولى ومنصفة الاسلام – DW – 2005/12/27
8- المستشرقة الألمانية آنا ماري شيميل وكتابها "وأن محمداً رسول الله"، أ.د. حامد ناصر الظالمي، دراسات استشراقية، العدد الخامس، صيف 2015،
9- من معالم التجديد عند محمد إقبال، د، كمال جحيش، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، مجلة المعيار، المجلد السابع، العدد الثاني عشر، 12 ديسمبر 2006
10-تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، ترجمة عباس محمود، القاهرة: دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، 2000
11-صلصلة الجرس، محمد إقبال، ترجمة جلال السعيد الحفناوي، مراجعة وتقديم، سمير عبد الحميد إبراهيم، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003
12-ديوان الأسرار والرموز، محمد إقبال، ترجمةعبد الوهاب بن محمد بن حسن ابن سالم عزام، القاهرة: مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة القاهرة، 2012
13- رسالة الخلود أو جاويد تامة، محمد إقبال، ترجمة الدكتور محمد السعيد جمال الدين، القاهرة: مطابع سجل العرب، 1974
14- - هدية الحجاز، محمد إقبال، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2020
15-سمير عبد الحميد إبراهيم، إقبال والعرب، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1413هـ
16-IKBAL Muhammad, voir L'Encyclopédie de l'islam ; Nouvelle édition, 2tablie avec le concours des principaux Orientalistes Leiden : E, G, Brill, Paris : G, P Maisonneuve et Larose S, A 1990, tome 3
17-The Development of Metaphysics in Persia by Sir Muhammad Iqbal,- London : Luzac & Co, 1908
18-Annemarie Schimmel, islamologue de renommée internationale, de Ismaïl Warscheid, In revue Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire Année 2007
19-محمد إقبال وتجديد الفكر الديني، عبد الله السيد ولد أباه، جريدة "عروبة". الرابط:
https://ourouba22.com/article/4158-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A5%D9%82%D8%A8%D8%A7%D9%84-%D9%88%D8%AA%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A
20-محمد إقبال: الشاعر والمفكر الهندي الذي غنت له أم كلثوم، لوليد بدران. الرابط:
https://www.bbc.com/arabic/world-59248803
21-فلسفة إقبال بين كتابين ومرحلتين، الصادر نجلة إسلام أون لاين الالكترونية. الرباط:
https://islamonline.net/archive/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9-%D8%A5%D9%82%D8%A8%D8%A7%D9%84-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D9%8A%D9%86-/%D9%88%D9%85%D8%B1%D8%AD%D9%84%D8%AA%D9%8A%D9%86
22-كتاب المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. الرابط:
https://shamela.ws/book/1266/2333